Al Jinan الجنان

Volume 12 Article 6

2019

الجهل بالعربية ومنشأ الانحراف

Mohammad Al-Terk
Jinan University, dr-m-terek@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan

Part of the Arabic Studies Commons

Recommended Citation

Al-Terk, Mohammad (2019) "الجهل بالعربية ومنشأ الانحراف," *Al Jinan الجنان*: Vol. 12 , Article 6.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol12/iss1/6

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, dr_ahmad@aaru.edu.jo.

د. محمد الترك
أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الجنان

الجهل بالعربية ومنشأ الإنحراف

DOI: 10.33986/0522-000-012-006

المقدمة:

لقد بلغت اللُّغةُ العربيّة بنُزول القُرآن الكريم، أشدَّها، فنشأت نَشأةً جديدة، وشقَّت طريقَها إلى الآفاق، لأنَّ الإسلامَ جعلَها لُغةَ الشَّريعة والعُلوم كافّة، إذ لا بُدَّ من معرفتها لمَن أرادَ العُلومَ الشرعيَّة، فمأخَذُ الأحكام الشّرعيّة كلِّها من الكتاب والسُّنّة وهُما بلسان العَرَب، فقد ارتبَطَت العربيَّةُ بالإسلام ارتباطًا وثيقًا، ويصعبُ فَهمُ الإسلام فَهمًا صحيحًا بغير اللُّغة العربيَّة، فمَن أغفلَ هذه الحقيقةَ وجهلَ العربيّةَ فقد ضلَّ الطَّريقَ، وانحرفَ بعقيدَته، وزاغَ بحُكمه، وشَطَّ في قَوله، وهذا ما نَجدُه في كثيرٍ من الانحرافات للجهل بالعربيَّة وسوءِ الفَهم لها، فقد رُوِيَ أنَّ أبا عمرو بن العلاء كان يقول: العِلمُ بالعربيَّة هو الدِّينُ بعَينه، فبلغَ ذلكَ عبد الله بن المُبارَك، فقال: صَدَق، لأنّي رأيتُ النَّصارى قد عبَدوا المَسيحَ لجَهلِهم بذلك، فقد رووا أنَّ الله قال لعيسى «أنا وَلَدْتُكَ وأنتَ بُنيّي» فبتَخفيفُ اللّام وتقديمُ الباء، وتعويضُ الضَّمَة بالفَتحة كَفَروا[1]*»[2].

وقالَ تعالى عن بَني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٥٨)، قال رسول الله ﷺ: «... فبَدَّلوا وقالوا: حطة: حبّة في شعرة»[3] والمعنى كلمة أُمرَ بها بنو إسرائيل لو قالوها لحُطَّت عنهُم أوزَارُهم، فحَرَّفوا الكَلِمَ فقالوا: حبَّة بدلًا من حِطَّة، «وكانَ قَصدُهُم خلاف ما أمَرهُم الله به

(١) (*) وقد وقع تصحيف بهذه الكلمة أيضاً، حيث ذكر العسكري ما وهم فيه الجاحظ فقد جاء في كتابه «البيان والتبين» قال: «سمعت يونس يقول: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام، ما جاءنا عن النبي ﷺ، قال أبو بكر: وإنما هو عن البتّي، وكان فصيحاً، فأما النبي ﷺ، فلا شك عند المِلّي والذمي أنه كان أفصح الناس» (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري، ص٩٠).

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: إحسان عباس، ج١، ص ٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب «وظَلَّلْنا عليْكُمُ الغَمامَ وأنزَلنا عليْكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى»، (٤٤٧٩).

فعَصَوا وتمرَّدوا واستهزؤوا فعاقبهم الله بالرِّجزِ وهو العَذاب»[١].

ونُوردُ مِثالًا عن تحريفِ الكَلِم وتغييرِ الألفاظِ والتلاعُبِ بها، حيثُ حُوِّلَ لَفظُ الجلالة الله إلى الـرَّبّ، ثمَّ إلى يَهوَه، فقد جاءَ في سِفرِ التكوين مـن النسخة المطبوعة عام (١٨١١) «هكذا سمى إبراهيـم اسم الموضـع مكان يرجم الله زائره» وفـي الترجمة المطبوعة عـام ١٨٤٤ وردت هكذا «دعا إبراهيم اسم ذلك المكان: الرَّبّ يرى». وفي سِفر التكوين في النسَخ المتداولة اليوم: «فدَعا إبراهيم اسم ذلك المكان: يَهواه يراه» «الإصحاح الثالث والعشرون الفقرة الرابعة عشرة»[٢].

فهم كما وصفهم الله عزوجل ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ..﴾ (سورة المائدة: ١٣) «والتحريـف: هو تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناهـا وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغيـر معاني التـوراة بالأشياء»[٣]. فالتحريف تغييـر للكلمة بقصد وتعمد، وهـذا يطلق عليه كلام محّـرف، وأمـا المُصحَّف فهو ما ينشأ عن التباس في الحـروف، وينقل العسكري عن الخليل: «إن الصحفـي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف بأشباه الحروف»[٤] فالتصحيف أن تقرأ الكلمة أو تكتـب خطـأ، دون أن يتلقنها، وقـد ذمَّ المصحِّفين، وحذر عن الحمل عنهـم، لتداخل الألفاظ، واختـلاط المعاني، وقراءة الكلام على خلاف ما يريده صاحبـه، وإذا كان التصحيف يشكل تلك الظاهـرة الخطيرة، بتصحيف كلمة فالجهل باللغة يـؤدي إلى الانحراف في المعتقد والابتداع في الدين، فتصدى العلماء لهذه الظاهرة وتعريتها وكشف خباياها وخفاياها وآثارها.

وقد تنبَّهَ الأوائلُ والعُلماء لخُطورةِ الجهل باللُّغة، وما يؤدّي إلى انحرافٍ في الدّين وشَطَطٍ في القَول والفعل، فكتب ابن جنّي ذو الاتِّجاه الاعتزالي «إنَّ أكثرَ مَن ضَلَّ من أهلِ الشريعة عن القصد فيهـا، وحادَ عن الطريقةِ المُثلى إليها، فإنَّما استَهواهُ واستخفَّ حلمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة»[٥].

ويحـثُّ الأزهـريُّ على تعَلُّـم اللُّغة لفَهمِهـا وإتقانها لانتفـاءِ الشُّبهةِ عمَّن يُريـدُ الحديثَ عن الإسـلام وأحكامه فقال: «فعلَينـا أن نجتهدَ في تعلُّم ما يُتوَصَّل بتعَلُّمه إلـى معرفةِ ضُروبِ خِطابِ الكتـاب، ثـمَّ السنن المبيِّنة لمُجمل التنزيـل، الموضحة للتأويل، لتنتَفي عنّـا الشُّبهة الداخلة على

(١) تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج١، ص ٤١١.

(٢) الوعي الإسلامي، الكويت، (من غرائب المحاكمات في التاريخ) محمود مهدي إستانبولي، العدد (٩٣)، رمضان ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص ٦٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (مادة حرف)، ج٩، ص٤٣.

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص١٣.

(٥) الخصائص، ابن جنّي، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ج٣، ص٢٤٨.

كثيـر مـن رؤساء أهل الزَّيـغ والإلحاد، ثمَّ على رؤوس ذوي الأهواء والبِدَع، الذيـنَ تأوَّلوا بآرائهم المدخولة فأخطؤوا، وتكلَّموا في كتاب الله –جَلَّ وعَزّ– بلَكَنَتِهِم العجَميَّة دون معرفة ثاقِبة، فضَلّوا وأضَلّوا»[1].

وقـالَ الشاطبـيُّ ذاكرًا المآخذَ على أهلِ البِدَعِ، والزَّيغ فـي اعتقادهم «ومنها تخرصهم على الـكلام في القـرآن والسُّنَّـة العَربيَّيْن مع العُرُوِّ عن علـم العربية الذي يفهم به عـن الله ورسوله، فيَفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الرّاسِخين في العلم، وإنما دخلوا ذلك من جهة تحسين الظَّنّ بأنفُسِهم، واعتقادهم أنَّهُم من أهل الاجتهادِ والاستنباط، وليسوا كذلك»[2].

ويضـربُ في هذا مثلًا الخوارج فهم يزعمون ويعتقدون «أن لا تَحكيمَ، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ (سـورة يوسـف: ٤٠) فإنَّه مبنيٌّ على أنَّ اللَّفظَ وردَ بصيغة العُموم، فلا يلحقه تخصيصٌ، فلذلك أعرضوا عن قـول الله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ (سـورة النساء: ٣٥)، وإلا فلو علموا تحقيقًـا قاعدة العرب في أنَّ العموم لم يرد به الخصوص لم يسرعـوا إلـى الإنكار ولقالوا فـي أنفسهم: هل هذا العـامّ مخصوص؟ فيتأوَّلون.. وكثيـرًا ما يُوقِعُ الجَهـلُ بكلام العرَب فـي مَجازٍ لا يرضى بها عاقـل... وما استدلّوا عليه من الأحـكام الفرعيّة أو الأصوليّة فهو عَينُ البِدعة إذ هو خُروجٌ عن طَريقة كلامِ العرَبِ إلى اتِّباعِ الهَوَى»[3].

ومـن أمعـن في أقـوال الملاحدة ومن وافقهم من أهـل البدع يجد «أنهم عمـدوا إلى ألفاظ مجملـة مشتبهـة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة، وصاروا يدخلـون فيها من المعاني ما ليس هـو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركَّبوها وألَّفوها تأليفاً طويلاً بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم، وهوَّلوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضاً لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعانـي المشتبهة، فإذا دخل معهـم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم قالوا له: أنت لا تفهم هذا، ولا يصلح لك. ثم ينقلون الناس في مخاطبتهم درجات – كالقرامطة– حتى يوصلوهم إلى البلاغ الأكبر والناموس الأعظم، الذي مضمونه جحد الصانع، وتكذيب رسله، وجحـد شرائعه، وفساد العقل والدين، والدخول في غاية الإلحـاد، المشتمل على غاية الفساد في المبدأ والمعاد»[4].

(١) تهذيب اللُّغة، الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تحقيق عبد السلام هارون، محمد علي النجّار، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م، ج١ ص٤.

(٢) الاعتصام، الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ج١، ص ٢٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٨.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة– مركز تحقيق التراث، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ص٢٩٥– ٢٩٦، بتصرف.

وممَّن زلَّت بهم الأقدام، وابتدعوا في الضَّلالات، وشَطّوا في الجهالات، الكرّاميَّة[1]* لجهلهم بالعربيّة، وقد تكلَّمَ زعيمهم في كتاب عذاب القبر بأمرٍ ولَفظٍ عجيب، فقال: «باب كيفوفية الله، فلا يدري العاقل ممَّ يتعجَّب من لفظه الذي أطلَقَه؟ أم من حُسنِ مَعرفَته بمواضع العربية.. لعلَّه أراد أن يخترعَ من نفسه عبارةً لم يسبق إليها تليقُ بعقله فإنَّه قد قال عن مكان معبوده: له حيثوثيَّة يختصّ بها»[2] وقوله: «في باب الرَّدّ على أصحاب الحديث في الإيمان: فإن قالوا بأحموقيتهم الإيمان قولٌ وعمَل قيلَ لهم كذا»[3] فاعتقادهم ومنطوق كلامهم يفضحهم بما أحدَثوه من بِدَعٍ وخُرافاتٍ وتأويل تعَسُّفي يعود إلى جهلهم بالعربيّة. فجهلُ هؤلاء بالعربية هو الذي صدَّهُم عن فَهمِ الإسلام الفهم الصحيح.

فالصلة وثيقة بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، إذ لا بدَّ في التفسير والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، كي لا يتلاعب بالنصوص وتفسر على حسب هوى المفسر وميوله «فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإنَّ عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك»[4]، وفي هذا قال الإمام الأشعري: «ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلمَّا كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه»[5].

ويذكر الشيخ محمد أبو زهرة، وهو يتحدَّث عن جذور التفلسُف الغريب والبعيد عن مصادر الدِّين، بل والمتناقض مع منهج الإسلام وفكر المسلمين، أنَّه «في آخر العصر الأموي والعصر العباسي تورَّدَت على العقل العربي الفلسفة الهنديّة والفلسفة اليونانية عن طريق الفرس لأنَّها كانت متأثِّرة بالفلسفة اليونانية، كما جاءت من السّريان لأنَّهم ورثوا الفلسفة اليونانية، وألبَسوها لبوسَهم الديني، ومسوحهم اللاهوتيّة، وعن طريق اليونان أنفسهم، لأنَّ بعضَ الموالي من المسلمين كان يجيد اليونانية، وقد تأثَّرَ المعتزلة بهذه الفلسَفة في آرائهم، وأخذوا عنها كثيرًا في

(١) (*) الكرَّامية: أصحاب محمد بن كرَّام، دعا إلى تجسيم معبوده، وزعم أنَّه جسم له حدود ونهاية من تحته والجهة التي يلاقي منها عرشه، وهذا شبيه بقول الثنوية: إنَّ معبودهم الذي سمّوه نورًا يتناهى في الجهة التي تلاقي الظلام وإن لم يتناهَ من خمس جهات، توفي محمد بن كرّام سنة ٢٥٥، (الفرق بين الفِرَق ٢١٦).

(٢) الفرق بينَ الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح بمصر، ص ٢٢٠.

(٣) التبصير في الدين، أبي المظفّر الأسفراييني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ص١٠٣.

(٤) كتاب الإيمان، الإمام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص١٠٥.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة، الإمام أبو الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٨١.

استدلالهم فظهرت في أدلَّتهم وأقيسَتهم»[١].

ويرى الشيخ محمود شلتوت أن الابتداع يرجع إلى أسباب منها «الجهل بأساليب اللغة العربية حيث تفهم بعض النصوص على غير وجهها»[٢] فبالغوا في استخدام العقل، وقدَّموه على الشرع، والأحكام عندهم تثبتُ به، ولم يجدوا من الأمويين معارضة، فهم لم يُثيروا عليهم شغبًا ولا حربًا، «ولمّا جاءَت الدّولةُ العبّاسيّة، وقد طمّ سبيل الإلحاد والزَّندَقة، وجدَ خُلفاؤها في المعتزلة سَيفًا مَسلولًا على الزَّنادِقة لم يغلوه، بل شجّعوهم على الاستمرار في نهجهم، فلمّا جاءَ المأمون، وقد كان يعتبر نفسَه من المعتزلة، شايَعَهُم وقرَّبَهُم وأدناهُم، وجعلَ منهُم حُجّابَه ووُزراءَه، وكانَ يعقدُ المناظَرات بينهم وبين الفقهاء. ثمَّ انتقلَ من المُناظَرات إلى التهديد بالأذَى الشديد، بل إنزاله بالفعل.. وحاولَ أن يحملَ الفقهاء على القول بأنَّ القُرآنَ مَخلوق»[٣].

تلكَ الفِتنةُ كانت من وافِداتِ الفَلسَفة الدّخيلة والأفكار المُستورَدة، التي أظهَرَها المعتَزلة للناس وأجبروا الناسَ عليها، ورحِمَ اللهُ الشافعيَّ القائل: «ما جهلَ النّاسُ واختلَفوا إلّا لتَركِهم لِسانَ العرَبِ ومَيلِهم إلى لِسانِ أرسطاطاليس»[٤] (اليوناني)، ويعلِّقُ السُّيوطي على ذلك بقوله: «وأشارَ الشافعيُّ بذلكَ إلى ما حدَثَ في زمَنِ المأمونِ من القَول بخَلقِ القرآن ونَفيِ الرؤية وغير ذلك من البِدَع، وأنَّ سبَبَها الجهل بالعربيّة والبلاغة الموضوعة فيها من المعاني والبيان والبديع، الجامع لجميع ذلك قوله لسان العرَب الجاري عليه نُصوص القرآن والسُّنَّة.. ولم ينزل القرآن ولا أتَت السُّنَّةُ إلا على مُصطَلَح العرَب ومَذاهبهم في المحاورة والتَّخاطُب والاحتجاج والاستدلال، لا على مُصطَلَح يونان، ولكلِّ قَومٍ لُغةٌ واصطِلاح»[٥].

ثم إن المبتدعة يستعملون ألفاظ الكتاب والسنة واللغة ولكن يقصدون بها معاني أُخَرَ، «فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً، نفاه الشرع والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة العرب، فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب على باطل، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل، فمن خاطبهم بلغة العرب قالوا: إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن»[٦].

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص ١٣٠-١٣١.
(٢) أسباب البدع ومضارها، الشيخ محمود شلتوت، الدار المتحدة، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ص٢٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٢.
(٤) سيَر أعلام النُّبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ج١٠، ص ٧٤.
(٥) مناهج البحث عند مفكّري الإسلام، علي سامي النَّشّار، دار المعارف - مصر- ط٤، ١٩٧٨، ص ١٩٥.
(٦) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، م.س، ص٢٢٣.

هـذا الجَهلُ باللُّغـةِ العربيَّة الفُصحـى أدّى إلى اختِـلاط المَعاني واستِعْجامِهـا، والزَّيغ في الاعتقـاد، واهتِـزاز الرَّكائـز الأساسية لحقائق الإسـلام، وتدَبُّر القُـرآن، وقـد أورَدَ هذا المعنى وأكَّـدَه العلماء، قال الأصمعيّ: «تزَندَقَ هـؤلاء القَوم لجَهلِهم باللُّغة العربيّة، ولو كانوا مطَّلعين على خفايـا اللُّغة لفَهموا حقيقةَ القُرآنِ والحديث، ولَما اعتَراهُـم الشَّكُّ في الدِّين، وقالَ الزُّهريّ: إنَّما أخطـأ الناسُ فـي كثير من تأويل القـرآن لجهلهم بلُغةِ العَـرَب. وقال أبو عبيد: سمعـتُ الأصمعيَّ يقـول: سمعتُ الخَليل بنَ أحمد يقول: سمعتُ أيوب السختياني يقول: عامَّةُ مَن تَزَندَقَ بالعِراقِ لقلَّةِ علمِهِـم بالعربيّة»[٧]. وعن الحَسَن قال: «أهلَكَتْهُم العُجمة، يتأوَّلونَ القُرآنَ على غيرِ تأويله»[٨] وعن ثعلب، قال: «سمعت ابن الأعرابي يقول: ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق»[٩].

فالقُـرآنُ نَزَلَ بلسانِ العَرَب، فـلا يُفهَم ويُفَسَّر إلّا بمَعرفةِ لُغةِ العَرَب، فمَنِ ابْتَغى بديلًا عنها أو كان جاهلًا بها، فإنَّه لن يصلَ إلى الفَهمِ المَطلوب، ويقعُ في الزَّيغِ والضَّلال، ومَن علِمَها انتَفَت عنه الشُّبَه والمُشكلات التي يواجهها مَن جَهلَ لسانَها.

والجهـل بالعربية يؤدي إلـى تفسير خاطئ وتأويل فاسد في معنى الآيـات القرآنية، قال ابن العربـي: «اتفقت الأمـة على أن لحم الخنزير حـرام بجميع أجزائه، والفائدة فـي ذكر اللحم أنه حيـوان يذبح للقصـد إلى لحمه، وقد شغفت المبتدعة أن تقول: فما بـال شحمه، بأي شيء حرم؟ وهـم أعاجـم لا يعلمـون أنه من قال لحماً فقد قـال شحماً، ومن قال شحماً فلـم يقل لحماً؛ إذ كل شحـم لحم، وليس كل لحم شحماً من جهة اختصاص اللفظ»[١٠]، ومن ثم كانت اللغة هي المرجع الـذي يرجعون إليه إن وقع تنازع في الأحكام . . فمثـلاً الجبّائي نقل عنه «وقال الجبائي وابنه: إن المضطر هو الذي فعل فيه غيرُه فعلاً، وهذا تنازع يرجع إلى اللفظ، وما ذهبنا إليه هو اللغة، وهو المعروف عند العرب»[١١].

ولقـد ضلّ بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ (سورة النساء: ٣) «وذهب بعض أهل الظاهر إلى إباحة الجمع بين ثمان عشرة؛ تمسكاً بأن العدل فـي تلـك الصيغ يفيد التكرار، والواو للجمع، فجعل معنى مثنى اثنين اثنين وهكذا، وهذا كله جهل

(٧) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم الرازي، عارضَه بأصوله وعلَّقَ عليه حسين الهمذاني، تحقيق: د. عبد الله سلوم السامرائي، ص ١١٦-١١٧.

(٨) الاعتصام، الشاطبي، م.س.، ج١، ص ٢٣٩.

(٩) بغية الوعاة، السيوطي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج١، ص١٠٥.

(١٠) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ص ٥٤.

(١١) المرجع نفسه، ص٥٥.

باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة»[١].

والجاحظ مع علو كعبه في الأدب واللغة إلا أنه أخطأ حيث «زعم أنَّ إبليس كان من الملائكة لأن الله تعالى استثناه منهم، ومنع أن يكون الاستثناء من غير جنس المستثنى منه، وقلنا إنما استثناه منهم لأنه كان حينئذ معهم فخالف الأمر وعصى واستكبر وأبى وكفر، وقد أجاز النحويون استثناء الشيء من غير جنسه، وتكلَّموا في إعرابه وسماه البصريون منهم استثناء منقطعاً، وليس للجاحظ علم بما أجمع عليه النحويون فلا اعتبار بخلافه لهم»[٢].

وتعتبر اللغة حجة وحكماً في المناظرات يلجأ إليها لإفحام الخصم وتبكيته ونسف آرائه، فيحسم الأمر للمحتج بها، ومن كان ضعيفاً فيها كان ضعيفاً في مناظرته، ففي مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى الشهيرة، يقول أبو سعيد لمناظره: «بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية، ثم يقول له: فحدثني عن الواو وما حكمه؟ فإني أريد أن أبيّن أنَّ تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأنت تجهل حرفاً واحداً. . ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه»[٣].

وعلى الرّغم من أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلَّم هو أفصَحُ العرَبِ لِسانًا، فليس هُناكَ إجماعٌ على الاستدلالِ بالحَديثِ النبويّ، لأنَّ الأعاجِمَ قد تداوَلَت الأحاديث قبل تَدوينها، فرَووها بما أدَّت إليهم عبارتهم، «فلم يحتَجّ بها العُلماء لعَدَم وُثوقِهم أنَّ ذلكَ لَفظُ الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلَّم، إذ لو وَثَقوا بذلكَ لجَرى مَجرى القُرآن في إثباتِ القواعدِ الكُلّيَّة. وإنَّما كانَ ذلكَ لأمرَين:

أحَدُهُما: أنَّ الرُّواةَ جَوَّزوا النَّقلَ بالمعنى..

الأمر الثاني: أنَّه وقعَ اللَّحنُ كثيرًا في ما رُوِيَ من الحَديث، لأنَّ كثيرًا من الرُّواة كانوا غير عَرَبٍ بالطَّبع، ولا يعلَمونَ لسانَ العَرَبِ بصناعةِ النَّحْو، فوقعَ اللَّحنُ في كَلامِهم وهُم لا يعلَمونَ ذلكَ، وقد وقعَ في كَلامهم وروايَتهم غير الفَصيح من لِسانِ العَرَب»[٤] فهؤلاء لم يُطبَعوا على اللُّغة الصحيحة الفَصيحة كالعرَبِ الخُلَّص، فلا يأمن من اللَّحن والهَفوِ في كَلامِهم ورِوايَتِهم، لذلك حرِصَ أئمَّةُ الحديث على تعلُّمِ العربيّة وإتقانها قبل طلَبِ الحديث كي لا يقعَ لَحنٌ في كلامهم، «عن

(١) ينظر تفسير القرطبي، ج٥، ص١٧.

(٢) ينظر أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، ط١، استانبول، مطبعة الدولة، ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨، ص٢٩٧.

(٣) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ص١٢٨–١٢٩، بتصرف يسير.

(٤) الاقتراح في علم أصول النَّحْو، السيوطي، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م، ص ٣٠–٣١. بتصرُّف.

وَكيـع قال: أتيتُ الأعمَش أسمَع منه الحديث، فكُنـتُ رُبَّما لحَنتُ، فقال لي: يا أبا سُفيان! تَركتَ ما هوَ أولى بك من الحديث، فقُلتُ: يا أبا مُحَمَّد! وأيُّ شيءٍ أوْلَى بي من الحديث؟! فقال: النَّحْو. فأمْلَى عليَّ الأعمَشُ النَّحْو، ثمَّ أمْلَى عليَّ الحديث»[1].

واللَّحـنُ يُعدُّ من القبائح والمسـاوئ التي أخذت تهزُّ ألسنةَ العربيـة الفَصيحة. بل أخذَ يهزُّ اللغـة نفسها التي هي لغة الوَحي، وهي أمُّ الفُصحى والفَصاحة، وكانوا يتخوَّفونَ من اللَّحن لدرجة أنَّهـم كانوا يعدّونه إثمًا يستغفـرونَ منه، «حدَّثَنا الخليل بن أحمد قـال: لَحَنَ أيوب السختياني في حـرف فقال: أستغفرُ اللّٰه»[2] ويخشـى أحدُهُم ألّا يُستَجابُ له إذا لحن، قـال بعضُ السَّلَف: «رُبَّما دعَوتُ فلَحنتُ، فأخافُ ألّا يُستَجابَ لي»[3].

الاستشراقُ واللُّغة:

يقومُ الاستشراقُ على أساسِ معرفة اللُّغات الشرقيَّة التي هي الوسيلة للتعرُّف على حضارات الأُمَم الشرقيّة، وعلى رأسها الإسلامُ واللُّغةُ العربيَّة، وحاوَلوا دراسة اللُّغة العربيَّة لإخضاع المسلمين «لتَزولَ العَقَبةُ الكُبيرة التي تقف في سبيل تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية»[4]، ومن ثـمَّ فقد تعرَّضَ الإسلامُ - من قِبَل خُصومِـه- إلى حملاتٍ شَرِسة من الاحتقار والتشويه والوَصف بـكلِّ أوصاف السُّوء. وإن قامَت دَعوة أو كتابة عـن الإسلام بمَوضوعيَّة وإنصاف فإنَّها لا تنجو من بَطشِ الكَنيسة، كما قال ريلاند: «.. ينبغي على المرءِ أن يتعلَّمَ اللُّغةَ العربيَّة وأن يسمَعَ محمَّدًا ﷺ وهو يتحدَّث في لُغَته، كما ينبغي على المرءِ أن يقتَنيَ الكُتُب العربية (الإسلامية) وأن يرى بعينه هو وليسَ بعُيون الآخَرين»[5]، فما كان من الكنيسـة إلّا أن حرَّمَت تَداوُلَ الكتاب لأنَّها لا تريد للحقيقة أن ترى النُّور.

فمن أهـمّ المآخذ على الاستشراق هو تمسُّك المستشرقيـن بالأساليب البالية –عامّة- في فهم الإسلام وتَناوُله، والرُّوح العدائية التي تحملها دراساتهم حول الإسلام.

بعـدَ هـذا، هل يُسمَـحُ لأيّ كاتبٍ أو مُفكِّرٍ أن ينـزلَ إلى ساحة البَحث، إلا وهـو مؤهَّلٌ ومُطيقٌ

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، ج٢، ص ١٢.

(٢) أخبار النَّحْويين، لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر، (ضمن دراسات ونصوص لغوية)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ص ٢٧.

(٣) الإيضاح في علل النَّحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٩٦.

(٤) الاستشراق والخلفيّة الفكريَّة للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، كتاب الأمة- قطر، عدد (٥)، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ٢٨.

(٥) () المرجع نفسه، ص ٣٤.

للنُّــزول فيه بحقِّه، ليكونَ مَوضوعيًا وإلا ألقيَ عَمَلُه في سلّة المهمَلات، «وقد حدِّدَت شروط مَنوطة بثلاثــة أمور: اللُّغة، والثقافــة، والأهواء... أمّا اللُّغــة التي نشأ فيها صغيــرًا (المستشرق) فشرطُ نُزوله المَيدان: أن يَكونَ مُحيطًا بأسرارها الظاهرة والباطنة، وبين تمام الإحاطة بها وقُصور هذه الإحاطة، يرتفع قدر ما يكتبه، أو ينزل إلى حَضيضِ الإسقاطِ والإهمال. وأمّا الثقافة وهي سرٌّ من الأســرار الملثمة، وحقائقها عميقة بعيدة الغور متشعّبة... فبها يرتفع أيضاً قدر ما يكتبه، أو ينزل إلى حضيض الإهمال.

وأمّا الأهواء فهي الداء المبير، والشَّرُّ المُستَطير، والفَسادُ الأكبر، إن هو ألمَّ بأيّ عمل إلمامة خفيفــة الدبيب بله الوطء المتثاقل، أحاله إلى عملٍ متقذّر منبوذ كريه، حتى ولو جاءَكَ هذا العمل في أحسن ثيابه وحليِّه وعُطورِه وأتَمّها زينة»[1].

هذه شُروطٌ لا يُختَلَفُ في شأنها، في أيِّ أُمَّة، وفي أيِّ ثقافة، فمَن لم تَجتَمع فيه هذه الشروط لــم يكُــن أهلًا للنُّزول إلى ميدان البحث، فإنْ فَعَلَ فهو مُتَكَلِّمٌ لا أكثَر، ثمَّ لا يُلتَفَتُ إلى قوله ولا يُعتَدُّ بــه عند أهــل البحث والعلم والكتابة واللُّغــة، لأنَّه لا يمتلك الأداة التي تُخولُــه لذلك، وكلامُه حُجَّة عليــه لا لــه، «والمُستَشرقُ فَتىً أعجَمــيّ، ناشئٌ في لِسانِ أُمَّتــه وتَعليم بِلادِه، ومغروسٌ في آدابها وثَقافَتهــا، ثــمَّ يتحوَّلُ فجأةً ليبدأ في تعَلُّم لُغة أُخرى (هي العربيّةُ هُنا) مُفارقة كل المفارَقة للّسانِ الذي نشأ فيه صغيرًا، ولثَقافَته التي ارتضَعَ لبانها يافعًا، فيبتدئُ تَعَلُّمَ ألف باء تاء، أو أبجَدهوز في العربيــة، ويتلقّى العربيَّة نَحوَها وصَرفَها وبَلاغَتَها وشِعرَهــا وسائرَ آدابها وتواريخها، عن أعجَميٍّ مثلــه، وبلِسانٍ عرَبيّ... ويقضي في ذلــك بضعَ سَنَوات قلائل، ثمَّ يتخرَّجُ لنا (مُستَشرقًا) يُفتي في اللِّسانِ العربيّ، والتاريخ العربيّ، والدِّين العربيّ.

كيــفَ يَجوزُ في عَقلِ عاقــلٍ أن تكونَ بضعُ سَنَوات قلائل كافية لطالــبٍ غريبٍ عن اللُّغة وهذه حالُــه، أن يُصبحَ مُحيطًا بأســرارِ اللُّغةِ وأساليبهــا الظاهرة والباطنة، وبعجائــبِ تَصاريفها التي تجمَّعَــت وتَداخَلَــت على مَرِّ القُرونِ البعيدة في آدابها... وأحسَــنُ أحواله أن يكون في منزلة طالبٍ عرَبيٍّ في الرابعة عشرة من عمره، أي هو في طَبَقةِ العَوام الذينَ لا يُعتَدُّ بأقوالهم. فأعجَبُ العَجَبِ، إذَن، أن يعدَّ أحدٌ شيئًا ممّا كتَبَه (المُستَشرقون) في لُغَتنا وثَقافَتنا وتاريخنا ودِيننا»[2].

ومَــن لم يُتقِــنِ العربيَّةَ – لَفظًا وكتابةً– فقدَ هَيبَتَهُ واحترامَهُ بيــنَ النّاسِ خاصَّةً إذا كان في موقــع المسؤولية، وجــرَّأ النّاسَ عليه، سواء كان من المستشرقيــن أم من غيرهم، حَكَى أبو جعفر

(١) المتنبّي رسالة في الطرق إلى ثقافتنا، محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بمصر، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧، ص٦٥-٦٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ٦٨-٦٩.

أنَّـه قال: «حضرتُ مَجلسَ رَجُلٍ فأحجمتُ عن مسألة حاجَتي لكَثـرةِ جَمعه، فرأيتُه، وقد أمْلَى على كاتِبِـه، ولم أكتُب بخطّي إليـكَ خوفًا من أن تقفَ على رداوَته فكتـبَ كاتبُه (رداءَته) على ما يجب فقال: أمَا تُحسنُ الهجاء؟ أينَ الواو؟ فأثبَتَها الكاتبُ فخس حينئذٍ في عيني، فاجترأتُ عليه فدَنَوتُ منه وسألتُه حاجَتي»[1].

إنَّ معرفـةَ العربيَّـةِ مـن أهمِّ العوامـلِ في فَهـم نُصوصِ الشريعـة، لأنَّها عربيّـة، وإذا كان بعضُ العـرَبِ الذينَ لم يتمكَّنوا من إتقانِ العربيّة فضلًا عن التَّبَحُّـرِ فيها، غير مؤهَّلين للاجتهاد والاستنبـاط فيهـا لعـدَم توفُّر الشـروط فيهم، ومنهم مَـن ضلَّ في فقـه النُّصوص لعَـدَم درايَته بالعربيّـة، فهـل يستطيعُ هـؤلاء الأعاجِم (المستشرقـون) وهُم قَليلو البضاعة فـي اللُّغة -هذا إن جُـرِّدوا من الهَوَى والتَّعَصُّب- إعطـاءَ صورةٍ واضحة كاملة عن الإسـلام؟ أم أنَّهُم بقَدرِ ما فقهوا من اللُّغة ستأتي تصوُّراتهم وأحكامهم، وعندئذٍ هل تستحقُّ أبحاثهم ودراساتهم احترامًا وتقديرًا، فيما يتعلَّقُ بالإسلام من تفسيرٍ وشريعةٍ وتاريخٍ ولُغة؟؟

هل توجَدُ أمَّةٌ تَرضى أن يَكتُبَ عن حَضارَتها وثَقافَتها مَن لا يُتقنُ لُغَتَها ولا يستَوعبُ ثَقافَتَها؟ فمَـن كتبَ عن الإسـلام - وهذا وَصفُه- فإنتاجُـه بحَجمِه وبمُستَوى مَعرفتـه، وجَهله لُغة الإسلام سينعكسُ جَهلًا بتَصَوُّراته وأحكامه، هذا إن لم يَنحرفْ عن جادَةِ الصَوابِ ويضلّ عن سواءِ السَّبيل.

تبيَّـنَ لَنا فيما سبقَ أنَّ الجَهـلَ بالعربيّة من أسباب الانحراف قديمًـا وحديثًا، وهذا يقتضي المحافظة التّامّة على النَّصِّ الحافظ والضابط لتلكَ اللُّغة، وهو القُرآن الكريم المَحفوظة بحِفظه، والخالدة بخُلوده، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ (سورة الحجر: ٩)، فلا بُـدَّ مـن بقائه بلُغَته التي نزلَ بهـا وهي العربيَّة، كما قال سبحانـه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشُّعَراء: ١٩٥) لهذا حظرَ العُلَماءُ كتابةَ القُرآن بحُروفٍ غير عربيَّة.

وقـد سُئِلَتْ لجنةُ الفَتـوى في الأزهر عن كتابة القُرآن بالحُروف اللاتينيَّة، فأجابَت بعدَ حمد الله والصَّـلاة والسَّلام علـى رسوله بما نَصّه: «لا شَكَّ أنَّ الحُـروف اللاتينيَّةَ المعروفةَ خالية من عِدَّةِ حُروف توافقُ العربيَّة، فلا تؤدّي جميع ما تؤدّيه الحروف العربيّة، فلو كُتبَ القرآنُ الكريمُ بها على طريقةِ النَّظم العربيّ ـ كما يفهم من الاستفتاء ـ لوقعَ الإخلالُ والتَّحريفُ في لَفظه، ويتبعهما تغييـر المعنى وفَسـاده، وقد قضَت نُصوص الشريعة بأن يُصانَ القُـرآنُ الكريمُ من كلّ ما يعرِّضه للتَّبديـل والتَّحريـف. وأجمعَ عُلَماءُ الإسـلام سَلَفًا وخَلَفًا على أنَّ كلَّ تَصَرُّفٍ فـي القُرآنِ يؤدّي إلى تَحريـفٍ في لَفظِه أو تغييرٍ في معناه ممنوعٌ مَنعًا باتًّا، ومُحَرَّمٌ تَحريمًا قاطِعًا، وقد التزَمَ الصَّحابةُ

(١) صبح الأعشى، القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامّة، ج١، ص ٤٩.

رضوان الله عليهم ومَن بَعدَهُم إلى يَومِنا هذا كتابةَ القُرآنِ بالحُروفِ العربيَّة»[١].

وفي العربيَّةِ من المَجازات والاستعارات، والحَذف، والكِناية، والتَّقديم والتَّأخير، ومُخاطَبة الجميع مُخاطَبَةَ الواحِد، والواحِد مُخاطبةَ الجميع، إلى ما هنالكَ من خَصائصَ تختَصُّ بالعربيّة «ولذلكَ لا يقدر أَحَدٌ من التَّراجم على أن ينقُلَ القرآن إلى شيءٍ من الألسِنة، كما نُقِلَ الإنجيلُ من السِّريانيَّة إلى الحبَشيَّة والرُّوميَّة، وتُرجِمَت التَّوراةُ والزَّبور إلى العربيَّة، لأنَّ العَجَمَ لم تتَّسِع في المَجازِ اتِّساعَ العَرَب»[٢].

فالقُرآنُ أنزلَه الله تعالى عربيًا، ويأبى أن يستعجم، وسِرُّه في عربيَّته، وتأثيرُه في عربيَّته، وهدايَته في عربيَّته، وتِلاوَتُه بعربيَّته، وتدَبُّرُه بعربيَّته، «وإنَّه نزلَ في جَوٍّ عربيٍّ، ونبتَ في منبتٍ عربيٍّ، وعشَّشَ في فهمٍ عربيٍّ، وعقلٍ عربيٍّ، وأنَّ السبيلَ في النَّظَر إليه وفي تَفهُّمه إنَّما هو للعربيّ أو المتعرّب مع أنَّ الرسالة عامّة، وبعثة صاحبها إلى النّاس كافَّة»[٣].

فهو يبيّن ما تتميَّز به طبيعة العربية من الفوارق عن سائر اللُّغات ممَّا يجعلها أكثر بُعدًا عن متناول المُترجِم وأشدّ استعصاءً على الترجمة، هذا إلى طبيعة اللُّغة. وهُناكَ أمرٌ آخَر يبدو أكثرَ أهميَّةً وهو إعجازُ القُرآن، إذ «إنَّ طبيعةَ الكتابِ تأبى أن يكون له نظيرٌ يُحاكيه، لا من لُغَته ولا من غير لُغَته، وذلك هو معنى إعجازه البلاغي، ومَن أرادَ أن يتصوَّرَ هذا اللَّون من ألوانِ إعجازِه فليَنتقِل هو إلى هذا الكتاب ولُغته، فيتذَوَّقه بها وبأساليبها ومن المُحال أن ينتقلَ هذا الكتاب العزيز، تاركًا عرشَه الذي بوَّأه الله إيّاه وهو عرشُ اللُّغة العربيَّة»[٤].

ثمَّ لو فُتحَ الباب لترجمةِ القُرآنِ إلى لغةٍ ما، فعندها فُتحَت الأبواب لتَرجَمته إلى اللُّغات جميعًا، مما يعرّض الأصل للضياع، كما ضاعَ الأصل العبريّ للتوراة والإنجيل، ممّا يعرّض الدِّين والأحكام للتغيير والتبديل، وهو حرامٌ بالإجماع، ومُخالفٌ للقُرآن لأنَّ الله تعالى قال ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ..﴾ (سورة الزُّخرُف: ٣) وتَرجَمَتُه تجعلُه ليسَ عربيًا.

بل إنَّنا نجدُ مَن يمنَع ترجَمةَ الشِّعرِ العربيّ، قال الجاحظ: «وفَضيلةُ الشِّعرِ مَقصورَةٌ على العرَب، والشِّعرُ لا يُستَطاعُ أن يُترجَم، ولا يجوزُ عليه النّقل، ومتى حوّلَ تقطَّعُ نَظمِه وبَطُلَ وَزنُه،

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص ٣٠.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م، ص ٢١.

(٣) كتاب حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن، الشيخ محمد سليمان، مطبعة جريدة مصر الحرَّة، ط٢، ١٣٥٥هـ، ص ١١٧.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٢، ص٣٣.

وذهـبَ حُسنُـه... وقد نُقلَت كُتُبُ الهنـد، وتُرجمَت حِكَمُ اليونانيَّة، وحوِّلَـت آدابُ الفُرس، فبعضُها ازدادَ حُسنًا، وبعضُها ما انتقصَ شيئًا، ولو حُوِّلَت حِكمةُ العرَب لبطلَ ذلكَ المعجز الذي هو الوَزن، مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا في معانيها شيئًا لم تَذكُرُه العَجَم في كُتُبِهم»[1].

فـإذا منـعَ أهلُ الاختصاص ترجمـةَ الشِّعرِ كي لا يبطلَ وَزنُه ويذهبَ حُسنُـه، وهو كَلامُ بَشَر يمكـنُ أن يُؤتَـى بمثله وأفصَح، فمن باب أولى يحظر ترجمة كتاب الله تعالى. فأيُّ لُغة تقصرُ عنه، ولـو أنَّ لُغةً يُمكن أن يُتَرجَم إليهـا ويبقى له إعجازُه وبَيانُه، غير العربية، لأنزله سبحانه بها، ولكن جعله الله تعالى عربيًا، فكفى العربيّة شرَفًا وقَدْرًا.

فـإذا كانَ الجَهـلُ باللُّغةِ يؤدّي إلـى الزَّيغ والشَّطَط والانحـراف، فإنَّ تعلُّـمَ العربيَّة ضرورةٌ شرعيَّة، وضرورةٌ علميَّـة، وضرورةٌ لغويَّة، وحاجةٌ اجتماعيَّة للارتقاءِ بلِسانِ المُسلِم ليكونَ الممثِّل لـه والنّاطِق باسمِه والدّاعي إليه بالبيـان والفَصاحة، بعيدًا عن أيِّ خطأ أو لَحن، وقد بذلَ العُلَماءُ جُهودًا عظيمةً في مقاوَمةِ اللَّحنِ وتَقويمِ اللِّسانِ، ولا يزالون.

خاتمة

لقـد ارتبطت العربية بالإسلام ارتباطا وثيقاً، فمن أغفـل هذه الحقيقة وجهل العربية، فقد ضـلّ الطريـق، وزاغ بحكمه، وشطّ في قوله، وهذا ما نجده عند كثيـر من الفرق وأصحاب الأهواء قديمـاً وحديثـاً، فمن أهم المآخـذ على أهل البدع جهلهـم بالعربية، مما أدّى إلـى انحرافهم في عقائدهـم، وشططهم في استنباط الأحـكام الشرعية، وتابعهم المستشرقـون في ذلك ، فهم لم يحيطوا بأسرار اللغة الظاهرة والباطنة، لإعطاء صورة واضحة كاملة عن الإسلام، ودعاة العامية كذلـك لا توجـد عندهم الدرايـة الكاملة باللغة العربيـة الفصيحة، فهل ترضى أمـة أن يكتب عن ثقافتهـا وحضارتهـا من لا يتقن لغتها ويستوعبها؟ فالقرآن عربـي، والسنة عربية، فلا يفهمان إلا بمعرفة العربية وإتقانها واستيعابها.

(١) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م، ج١، ص٧٥.